

٥ - هكذا قال زرادشت

للفيلسوف الألماني فردرريك نيتشه

ترجمة الأستاذ فليكس فارس

المأمورون بالعالم الثاني

وترأى زاردا يوماً بجياله الى ما وراء الانسانية ، فترأى هذا العالم لديه كما يراه جميع الأخوة في العالم الثاني خليفة رب مثالم مضطرب ، فقال :

رأيت الدنيا كأنها أحلام فائم أبدعت أبخرة حوالة متلونة ترتد عنها ألوهية النفس على غير رضى . وقد لاح لي الخير والشر والافراح والاحزان وذائق وذات الآخرين كما تلوح الأبخرة الملونة لمعين البدع ، ولعل البدع أراد أن يتحول يصيرته من ذاته فأوجد العالم

لا ينتشى التالم بمسرة أشد من مسرته حينما يعرض عن الآمه وينسى نفسه . هكذا تكشف لي العالم يوماً فرأيت مسرته عملاً ونسياناً وهو يتقلب أبداً في تقائمه ممكساً للتناقض الأبدى نظرت إلى العالم يوماً فلاح لي مسرة مسكرة تمنع بها مبدع غير كامل خلقته أنا ، فجاء كسكل أعمال البشر حجة بشرية ما كان هذا الآله إلا إنساناً ، بل جزءاً من شخصية إنسان ، لأنه تشأ من ترأى ومن لم ي . إنه لشبح من هذا العالم لا من وراء هذا العالم

شهدت ذلك ، أيها الأخوة ، فتفوقت على ذاتي بالامى ، وحملت ترأى إلى الجبل حيث أوقدت ناراً تشع نوراً فاذا بالشبح يتوارى مبتعداً عني

فاذا ما آمنت الآن عتل هذا الشبح ، فلا يكون إيمانى إلا توجهاً وصناراً ، ذلك ما أقوله للأخوة في العالم الثاني

ما أوجبت العوالم الأخرى في هذا العالم سوى الآلام والشمود بالمعجز ، ذلك ما أوجده تلك العوالم فأوجبت معه هذا الجنون السريع الزوال بمصادرة ما ذاقها من الناس إلا أشددم آلاماً إن الشعب الذى يطمح الى اجتياز أبعد مدى بطفرة واحدة بطفرة قاتلة ، وقد بلغت به مسكنته وجهاته حداً لا يستطيع

عنده أن يريد ، إنما هو نفسه مبدع جميع الآلهة وجميع العوالم الأخرى

صدقنى ، أيها الأخوة ، إن الجسد قد قطع رجاءه من الجسد ، ففداً يحس بأنامله مواضع الروح المضللة ، وذهب بتلمسها من وراء الحواجز القاعة على مسافة بعيدة

صدقنى ، أيها الأخوة ، إن الجسد قد تملكه اليأس من الأرض فسمع صوتاً يناديه من قلب الوجود ، فأراد أن يخرق رأسه أطراف الحواجز ، يل حلول العبور منها إلى العالم الثاني ، غير أن العالم الثاني جد خفى عن الناس لأنه يتخفته وابتعاده عن كل صفة إنسانية ليس إلا سماء من الدم . إن قلب الوجود لا يخاطب الناس إذا لم يكلمهم كإنسان

والحق إنه ليصعب علينا إثبات الوجود واستقطاقه . أجيئوا أيها الأخوة ، أفما يلوح لكم أن أغرب الأمور أثبتنا دليلاً ؟ . أجل ، إن هذه الذات على ما فيها من تناقض واختلال تثبت بكل جلاء وجودها فتبتدع وتعلن إرادتها لتضع القاييس وتعين قيم الأشياء ، وما تطلب هذه الذات في اخلاصها إلا الجسد حتى في حالة استغراقه في أحلامه وتحفره للطيران بأجنحته المطمعة إن هذه الذات تتدرب على الأفصاح عن رغباتها باخلاص ، وكلما ازدادت تدرباً ألهمت البيان للإشادة بالجسد وبالأرض

لقد علمتني ذاتي عزلة جديدة أعلمها الآن للناس : علمتني ألا أخفى رأسي بمد الآن في رمال الأشياء السماوية ، بل أرفعها رأساً عزيزة تראה تبتدع معنى الأرض

إننى أعلم الناس لإرادة جديدة يتخيرون بها السير على الطريق التي اجتازها الناس من غباوة من قبلهم ؛ أعلمهم أن يطعمشوا إلى هذه الطريق فلا تنزلق أرجلهم عنها كما انزلت أرجل الأعداء المهكين ، وما هؤلاء إلا من ابتدعوا الأشياء السماوية واخترعوا قطرات الدماء المراقبة لافتداء البشر . على أن هذه السموم التي أخذوا بلذتها ورهبتها لم يستخرجوها إلا من الجسد ومن الأرض

لقد شاءوا الفرار من الشقاء وترامت لهم الكواكب بعيدة صبة النال فوجوا يندفمون بالزفرات قاتلين : وأسفاه ! لم لا تفتتح أماننا سبيل في السماء تنسحب عليها إلى وجود آخر وسادة أخرى

في ذلك الحين اخترعوا أوهامهم وكثروهم الصغيرة المترعة بالدماء . . . وحسب هؤلاء الناس في عقوقهم أنهم فازوا بالنعيم بعيداً عن جسدكم وعن الأرض ؛ وتناسوا أن تنعمهم ورعشة ملذتهم إنما نشأت من جسدكم ومن هذه الأرض^(١) إن زارا ليشفق على الأعيلاء فلا يغضب لما أوجدوه من وسائل السلوان ولا يتمرس لأنهم عقوا جسدكم وأرضهم ، بل هو يرجو لهم الشفاء والتغلب على أنفسهم ليوجدوا لهم أجساداً أرق من أجسادهم

إن زارا لا يغضب أيضاً على الناقه الذي يحنّ إلى وهمه فيذهب في منتصف الليل ليطوف بقبر إلهه ، ولكنه لا يرى في دموع هذا الناقه إلا أثر المرض والجسم المريض لقد وجد في كل زمان كثير من المرضى المستغرقين المتشوقين فهم يكرهون إلى حد الهوس كل من يطلب المعرفة ، ويكرهون أبسط الفضائل وهي فضيلة الاخلاص

إنهم يلتفتون دائماً إلى الوراء ، إلى الأزمنة المظلمة ، إذ كان للجنون وللإيمان حلتهما الخاصة ؛ فكان الآله يتجلى في هوس

(١) لذكر القاري الكريم ما وجهنا انتباهه إليه في مقدمتنا ، فهامو ذا نيتشه قد بدأ بوضع حلة جعوده ، فهو يرى مبود الناس قائماً من ومهم أو بصير آخر أن الانسان قد خلق الله فصوره من ترابه ونفخ فيه نسة من لهبه . ولو أننا وقفنا عند كل فكرة جائعة من أفكار نيتشه لنحلها ونرجع منها إلى إيماننا المبكين لانظرنا إلى التحول من الترجمة إلى البحث الذي وعدنا بالقيام به بعد الفراغ منها . غير أننا لا نجد بدأ الآن من دعوة القاري إلى الامعان في الصفات التي تتراءى لنتيشه كأنها هي الألوهية فينا كد أن الاله الذي يهاجه هذا الفيلسوف هو غير إلهنا ، وعاله الثاني هو غير طائنا الروس الذي يقيم فينا قبل أن نقيم فيه

إن نيتشه كان قد خرج على الدين الذي اقتبسته الآرية عن السامية فشوهه ، فأصبح بعد ذلك طريد فكره الجبار ينتقد آثار الدين في المجتمع ، وقد وقف موقفه السلبى فلا هو يكت صراخ نفسه للمردة ، ولا هو يتندى إلى الدين الحق الذي تسكن الروح إليه وينتظم المجتمع بأحكامه ؛ وما نحن نورد كلمة لنتيشه قالها وهو يكتب زرادشت وفيها عبرة للمؤمنين وللجاحدين في حديقه من حدائق لوزرن جلس نيتشه إلى البديده (لو سالومه) وهي حساء روسية ملكت له ، وفي حديثه معها ملكة الصمت ؟ فرأت لو دموعه تنهر وبدأ يقس عليها تاريخ تطوره الفكرى ؛ فوصف لها سنى فتوته التي قضاه في التبدد ، ثم عرض مراحلها في شكوكه واضطرابه في عالم لا بد من إمرار الحياة فيه دون أن يكون لهذا العالم إله . . . فقال ، والبديده نفسها دونت قوله للتاريخ :

هكذا بدأت مفاسراتى الفكرية وما وصلت إلى محبة منها ، فإلى أين أتجه . . . أفلا يحدري أن أعود إلى الإيمان ، أو أن أوفق إلى إيمان جديد ؟ على أنه خير لي إذا أنا لم أوفق إلى الوصول لهدف أن أعود أدراس من أن أفت في خبرتي ، اه . . . نقلا عن كتاب دانيال حالان

العقل ، وكانت كل ريبة خطيئة

لقد عرفتهم جد المعرفة ، أولئك المتجلبين على صورة الله ومثاله ، فتبينت أن جميع رغباتهم تنجبه إلى أن يؤمن الناس بهم وأن يصبح كل شك فيهم خطيئة ، وما فات مداركي ذلك الإيمان الذي يدعون رسوخه فيهم . فأنهم لا يؤمنون لا بالعوالم الأخرى ولا بقطرات الدماء تفتدى العالم ، بل هم كسائر الناس يعتقدون بالجسد ، ويرون أن أجسادهم نفسها هي الكائن الواجب الوجود غير أن هؤلاء الناس يرون الجسد كائناً معطلاً ، فيودون أن يبارحوا جلودهم وذلك ما يدفعهم إلى الاصفاء للبشرى بالموت وما يهيب بهم إلى التبشير بالعوالم الأخرى

أما أنتم ، يا إخوتي ، فاصنوا إلى صوت الجسد الذي أبلّ من دائه لأن هذا الجسد يخاطبكم بصوت أبقى وأخلص من تلك الأصوات

إن الجسد السليم يتكلم بكل إخلاص وبكل صفاء ، فهو كاللعامة المربمة من الرأس حتى القدم وليس يباه إلا إفصاحاً عن معنى الأرض

هكذا تكلم زارا

المستهلز لله بالجسد

لأقولن للمستهلزين بالجسد كلتي فيهم : إن واجبه ألا ينفروا طرائق تعاليمهم ، ولكن عليهم أيضاً أن يودعوا أجسادهم فيستولوا على أنفسهم الخرس

يقول الطفل : أنا جسدٌ وروح . فلماذا لا يتكلم هؤلاء الناس كالأطفال ؟ أما الانسان الذي انتبه وأدرك ذاته فيقول : إننى بأسرى جسد لا غير ، وما الروح إلا كلمة أطلقت لتعنين جزء من هذا الجسد

ما الجسد إلا مجموعة آلات مؤتلفة للعقل ، ومظاهر متعددة لمعنى واحد . إن هو إلا ميدان حرب وسلام ، فهو القطيع وهو الراعى

إن آلة جسدك إنما هي أداة عقلك الذي تدعوه روحاً ، أيها الأخ ، إن هو إلا أداة صغيرة وألوهية صغيرة لعقلك العظيم إنك تقول : (أنا) ، وتنفخ غروراً بهذه الكلمة ، غير أن هناك ما هو أعظم منها ، أشئت أن تصدق أم لم تشأ ، وعو جسدك وأداة تفكيره العظمى ؛ وهذا الجسد لا يتبجح بكلمة

أوجدت اللذة والألم ، انت الجسم البدع أوجد العقل لخدمته
كساعد يتحرك بأزادته

انكم لتخدمون الذات السكاملة فيكم حتى في جنونكم وفي
احتقاركم . وأنا أقول لكم أيها المستهزون بالجسد إن ذاتكم
نفسها تريد أن تموت ، وقد تحولت عن الحياة لأنها مجزت عن
القيام بما كانت تطمح اليه ، وما أقصى رغبتها الا ابداع من يتفوق
عليها ، ولقد مضى زمن تحقيق هذه الرغبة ، لذلك تطمح ذاتكم
الى الزوال أيها المستهزون بالأجساد

إن ذاتكم أصبحت تنوق الى الزوال ، وهذا ما يدفع بكم الى
الاستهزاء بالأجساد إذ قد امتنع عليكم أن تخافوا من هو
أفضل منكم

ان هذا العجز قد ولد فيكم النعمة على الحياة والأرض .
وها هي ذى تتجلى شهوة في لحظانكم المنعرفة دون أن تعلموا
إننى لا أسير على طريقكم أيها المستهزون بالأجساد ، لأننى
لا أرى فيكم المعبر الذى يؤدي الى مطلع الانسان الكامل
(شبع) فليكن فارس

أنا ، لأنه هو (أنا) ، هو مضمير الشخصية الظاهرة
إن ما تتأثر الحواس به وما يدركه العقل لا نهاية له في ذاته ،
غير أن الحس والعقل يحاولان اقناعك بأن فيهما نهاية الأشياء
جميعها ، فما أشد غرورها !

ما الحس والعقل الا أدوات والعوبة ؛ والذات الحقيقية
كامنة وراءها مفتشة بميون الحس ومصفية بآذان العقل

إن الذات ما نبرح مفتشة مصفية ، فهي تقابل وتستنتج ثم
تهدم متحكمة في الشخصية سائدة عليها ، فإن وراء إحساسك
وتفكيرك ، يا أخى ، يكمن سيد أعظم منهما سلطاناً ، لأنه
الحكيم المجهول ، وهذا الحكيم إنما هو الذات بعينها المستقرة
في جسدك وهي جسدك بعينه أيضاً^(١)

ان في جسدك من العقل ما يفوق خير حكمة فيك ، ومن له
أن يعلم السبب الذى يجعل جسدك بحاجة الى خير ما فيك من حكمة
انت ذاتك تهزأ بشخصيتك وبألمائها قائلة : — ما هي
خطرات الفكر ونسأليه إن لم تكن جنوحاً الى هدى ، أفلمت
أما رائدة الشخصية وملهمة أفكارها ؟

تقول الذات للشخصية : — اشمرى بألم ، فتتألم وتفكر
بالتخلص من هذا الألم وقد تحم عليها أن تتجه الى هذه الغاية
وتقول الذات للشخصية — اشمرى بالسرور ، فتنس وتفتكر
بأطالة أمد هذا السرور ؛ وقد تحم عليها أن تتجه الى هذه الغاية
لى كلمة أقولها للمستهزين بالجسد ، وهي أن احتقارهم إنما
هو في الحقيقة حرمة واعتبار ، إذ من هو ياترى موجد الاحترام
والاحتقار والتقدير والارادة ؟

ان الذات البدعة أوجدت لنفسها الاحترام والاحتقار كما

(١) أفلا يرى الفاريد الكريم إثبات واجب الوجود في محاولة إنكاره
والإيمان الفكرى الأسفى في أمثل منطق وأمرح جعود ؟ ذلك هو رد الفعل
الذى أشرنا اليه في مقدمتنا ، فإن الإيمان الغربى قد اعتبر الجسد آلة شهوة
محقرة يجب إذلالها ، نأنكر الحياة (وما الحياة في نظر الفرق المؤمن إلا
مقدمة للخلود) وما ثار نيتشه إلا على هذا التصور للكيان الانسانى ، فعب
يلعب ظاهره باطناً وباطنه ظاهراً ، ويشطره الى ذات وإلى شخصية معتبراً
الشخصية حقلاً وإدراكاً زائلاً ، ولأنه بأن الجسم بما فيه من حوافز مجردة
خفية إنما هو بنفسه الذات الواجبة الوجود التى تندفع الى التكامل لتبلغ
بالانسان مرتبة الألوهية

هذه كلمة لم نبدأ من الاتيان بها وهي جد موجزة ، ولكنها ستكون
مداراً لبحثنا عند ما ننتهى من ترجمة فيلسوف الغرب الكبير لتأخذ من
إلحاده دليلاً شانه على صحة إيمان الفرق بالواحد الأحد وبما تنبع في
الأجساد من نمة الحياة الحائلة

استرداد الفرصة الأدبية شهراً آخر

كتب بقلم محمد عبد الله عنانه

مصر الإسلامية

ثمنه ١٥ قرشاً ويبيع بخمسة ٣٣٪ أى بـ ١٠ قروش

قصص اجتماعية

ثمنه ١٠ قروش ويبيع بخمسة ٤٠٪ أى بـ ٦ قروش

أبيه خلدوه حياته وتراثه

ثمنه ٨ قروش (مجلداً بالكروتون)

وثنى الثلاثة كتب معاً ٣٠ قرشاً أى بخمسة ٤٠٪

عدا البريد ، وهو قرشان عن كل كتاب داخل القطر وأربعة خارج
القطر وللثلاثة كتب ٥ قروش في الداخل وعشرة في الخارج
ويطلب من مجلة (الرسالة) ولجنة التأليف والترجمة بنارح الكرداسى
ومكتبة النهضة بنارح المداغب وباقي الكتاب الصغيرة
وطبقات المجلة من المؤلف تليفون ٤٤٦٨٣